

العتبة الحسينية المقدسة

مركز احياء التراث الثقافي والديني

مؤتمر التراث الديني المخطوط والمطبوع

بين الواقع والاستشرافات المستقبلية

منشأ الخلاف الفقهي في الصدر الاول للاسلام في نظر ابن حزم الاندلسي

الباحث

عبد الستار الجابري

١٤٤٢ - ٢٠٢١

المقدمة

الاندلس اول البقاع الاوربية التي دخلت الاسلام في القرن الاول الهجري، وعاشت كغيرها من بلاد المسلمين مخاض الصراع الفكري على مختلف الاصعدة.

كما مثلت هزيمة المسلمين في الاندلس على يد القوات الصليبية نقطة التحول الاولى في انهيار الكيان الاسلامي الرسمي، وتوالت بعد ذلك الانهيارات حتى اصبح المسلمون ابتاعا للقوى الصليبية بعد ان كانوا اندادا لها.

ادرك الصليبيون عبر القرون الطويلة ان الحضارة الاسلامية تمثل خطرا حقيقيا يهدد وجودهم لذا كان قرارهم ان يمنعوا قيام اي قوة اسلامية من شأنها ان تشكل خطرا حقيقيا على مستقبلهم، فنقلوا الى بلاد المسلمين كل اسباب الفرقة والقتال والصراع التي عاشوها على اراضيهم، ثم مزقوا بلاد المسلمين وسلطوا عليها من يضمونوا مع وجودهم سيطرتهم على ارض المسلمين.

ان الذي علينا ان نعيه اليوم هو ان العرب لم ينهضوا كأمة ولم يتمكنوا من الظهور كحضارة الا بالاسلام، ولو لم يظهر الاسلام في ارضهم لكانوا شأنهم شأن شعوب القارة الامريكية والاسترالية

وشعوب افريقيا، الذين محى الغزاة تراثهم ولم يسلموا حتى على لغتهم وتقاليدهم، بينما كان الاسلام عنصر القوة الذي اقتحم اوربا من شرقها وجنوبها، واخضع روسيا قرونا طويلة لسيطرة اتباعه، على الرغم من انه لم يكن الاسلام بصورته الناصعة التي جاء بها النبي (صلى الله عليه واله) الا ان المظهر العام للاسلام كان حاكما.

اليوم زالت معالم القدرة الاسلامية في بعدها السياسي والعسكري، ولم يبق لنا الا ان حضارة الاسلام، وتارة نكون ممن يساهم في ادامة تشويه صورة الاسلام الحقيقية كما فعل اسلافنا، واخرى نتجاوز اخطاء السابقين ونعود الى الاسلام الحق الى اسلام القران والسنة القطعية الثابتة.

هذه الوريقات جهد متواضع عند حركة احد مفكري الاندلس الذي عاش ايام ازدهارها الفكري في خضم الخلاف والصراع بين المدارس المختلفة، واعتبر ان ما طرحه موقف شجاع في الاشارة الى نقاط مهمة يحتاج المجتمع المسلم والمفكرون المسلمون الى الوقوف عندها بعين الناقد الخبير، لتقديم ما هو افضل لمستقبل الاجيال.

يقع البحث في بحثين وخاتمة، تناولنا في البحث الاول جذور الاختلاف في المجتمع المسلم وفي المبحث الثاني النقاط التي نص عليها ابن حزم في اسباب الخلاف الفقهي بين المسلمين.

المبحث الاول

اسلام الاسلام واسلام المسلمين

جوهر الخلاف بين المسلمين عبر العصور

بعث الله النبي محمدا (صلى الله عليه واله) هاديا للخلق وبشيرا ونذيرا، وانزل عليه القران ليكون كتاب هدى ومخرج للناس من الظلمات الى النور مادام على الارض حياة ومادام الدنيا قائمة.

والاسلام دين كامل في جميع جوانبه، فهو قد تناول في مطاوي آياته الحديث عن الله وعن الكون، وعن القيم الروحية والاخلاقية، وعن التشريعات التي تربط الانسان بربه، وعن التشريعات التي تربط الانسان بمجتمعه، وعن الدولة وقيادتها، وعن كيفية التعاوي مع الآخرين، وعن الموت والحياة الآخرة.

كان النبي (صلى الله عليه واله) وبعبارة اخرى ان الاسلام يتبنى بالدرجة الاساس بناء الانسان والمجتمع، ويعتبر ان الانسان هو المنطلق لقيام الحق على الارض، ولذا لم يهدف النبي (صلى الله عليه واله) طول حياته الشريفة الى قهر الناس على ما لا يريدون، الا اذا كان ما يريدوه باطل مطلق او يشكل بقاءهم تهديداً واقعياً لامن المسلمين وسلامتهم الفكرية.

ومن هنا لم يكره النبي (صلى الله عليه واله) اتباع الديانات السماوية على العدول عن دينهم الى الاسلام، في الوقت الذي لم يرض ببقاء الشرك وعبادة الاوثان.

وعند ملاحظة حياة المجتمع الاسلامي نجد ان الاسلام يمكن ان يقسم الى قسمين، الاول اسلام الاسلام، وهو اسلام رسول الله (صلى الله عليه واله) المحفوظ في القران الكريم والثابت قطعياً من السنة المطهرة، والثاني هو اسلام المسلمين، والذي ابتدأ منذ فتح مكة.

الى قبل فتح مكة كان المهيمين على ساحة المسلمين هو اسلام رسول الله (صلى الله عليه واله)،
فالناس تأخذ عن رسول الله (صلى الله عليه واله) وتتعلم منه وترجع اليه في اخذ امور دينهم،
وان كان يظهر هنا وهناك من يعترض على حكم او يزعج من تشريع.

اما بعد فتح مكة، فتغير الامر كثيراً، ان مكة كانت تحوي مردة المشركين الذي وقفوا امام اتساع
رقعة دولة الاسلام ثمان سنين كاملة على الرغم من قناعتهم التامة ببطلان عبادة الاوثان، الا ان
مركزهم المهم بين قبائل العرب لم يكن يسمح لهم ان يتخلوا عن تلك الامتيازات لصالح الاسلام
والدين الالهي، واعتبروا ان الاسلام جزء من الصراع الهاشمي - القرشي الممتد عبر العصور
يروى ابن شهر اشوب في مناقبه (وقال أبو جهل : زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابداً إلا أن يأتينا وحي كما
يأتيه . فنزل) وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى) الآية ، وقال الحرث بن نوفل بن عبد
مناف : انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الذي معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا
العرب من أرضنا ولا طاقة لنا بها ، فنزلت (وقالوا ان نتبع الهدى نتخطف من أرضنا) فقال الله
تعالى رادا عليهم : (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً)^١

وثمان سنين من عمر الدعوة الى الله عرقلتها قريش وفوتت على المجتمع مسالة البناء الذاتي
المرتبط برسول الله (صلى الله عليه واله)، وما ان فتحت مكة ولم تمض سوى سنة واحدة حتى
بلغت دولة النبي صلى الله عليه واله اطراف العراق وبلاد الشام شمالاً والخليج شرقاً والبحر
الاحمر غرباً وبحر العرب جنوباً، الا ان هاتين السنتين المتبقيتين من حياة رسول الله (صلى الله
عليه واله) لم تكونا كافيتين لبناء شخصية الفرد المسلم. فما ان توفي النبي (صلى الله عليه
واله) حتى ظهر مسيلمة وسجاح وامثالهما واتبعهم من اتبعهم.

قريش ومستقبل الاسلام

لم يكن فتح مكة وسقوط سلطة قريش سبباً في تسليم قريش للوضع الجديد، بل سعت قريش ان
تستثمر الوضع الجديد وتضيف لنفسها مجدداً جديداً مستفيدة من واقع الاسلام الذي منح قوة
ومنعة وقدرة لواقع القبائل العربية المتقاتلة المتنافرة اذ وحدها تحت دين واحدة وقيادة واحدة.

^١ مناقب ال ابي طالب: ٤٧/١

لم يكن الامر الذي يهيم قريش مسألة احكام الشريعة والعقيدة والقيم الروحية والاخلاقية، انما كان الذي يهيمها السلطة، ولذا سعت قريش خلال السنتين الاخيرتين من عمر النبي (صلى الله عليه واله) الى مد نفوذها وتدعيم تحالفاتها للسيطرة على الحكم بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)، بل قد سعت قريش الى اغتيال النبي (صلى الله عليه واله) قبل ذلك وقد ارخ التاريخ لهذا في غزوة تبوك في محاولة اغتيال النبي (صلى الله عليه واله) في العقبة في قضية تنفير الناقة:

(... فاجتمعوا أربعة عشر نفرا وتأمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقعدوا له في العقبة ، وهي عقبة أرشى بين الجحفة والأبواء ، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلما جن الليل تقدم رسول الله في تلك الليلة العسكر ، فأقبل ينعس على ناقته ، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل : يا محمد ! إن فلانا وفلانا وفلانا قد قعدوا لك ، فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال : من هذا خلفي ؟ ، فقال حذيفة بن اليمان : أنا حذيفة بن اليمان يا رسول الله ، قال : سمعت ما سمعت ؟ ، قال : بلى.

قال : فاكتم ، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وآله منهم فناداهم بأسمائهم ، فلما سمعوا نداء رسول الله فروا ودخلوا في غمار الناس ، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ، ولحق الناس برسول (الله صلى الله عليه وآله) وطلبوهم ، وانتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى رواحلهم فعرفها (...)^٢

وفي قصة المرأة اليهودية التي دست السم في الشاة عند دعوتها رسول الله (صلى الله عليه واله) لتناول الطعام عندها، مع اننا جميعاً نعلم ان ذبائح اهل الكتاب لا يجوز اكلها، وهذا الحكم لا منشأ له الا التشريع الالهي، فكيف يعصي رسول الله (صلى الله عليه واله) امر الله تعالى ويتناول من ذبيحة غير المسلمين، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمت اليهودية النبي (صلى الله عليه وآله) في ذراع وكان النبي صلى الله عليه وآله يحب الذراع والكتف ، ، ويكره الورك لقربها من المبال)^٣

^٢ البجار : ٦٣٢/٣١

^٣ الكافي: ٣١٥/٦

فقریش كانت تسعى لان تحكم سيطرتها على مقاليد الامور بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)، فقریش سيدة العرب قبل الاسلام وتاريخها السياسي يوضح هيمنتها على القبائل العربية حيث تمكن هاشم بن عبد المناف (رضوان الله عليه) ان يفرض على الكيانات التجارية الضخمة في ذلك الوقت وهما الشام واليمن ان يخضعاً لارادته فيما قرر القران الكريم لتلك الواقعة في سورة قریش ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ، إِلَّا يَلْفُ قُرَيْشٍ ، إِحْلِفُهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا النَّبِيِّ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^٤

كما كانت قریش تمثل قدرة تجارية ضخمة وتحظى بتقدير كبير بين العرب يشهد لذلك انهيار الشرك في جزيرة العرب بمجرد دخول قریش في الاسلام بعد فتح مكة.

فالعامل النفسي لدى القبائل العربية في قبول ولاية قریش بعد النبي (صلى الله عليه واله) موجود فسادة الجاهلية هم قوم النبي (صلى الله عليه واله) وعشيرته، فلا مانع من ان يكون سادة الجاهلية سادة الاسلام. وخلال سنتين من عمر دخول قریش الاسلام تعلموا جملة من احكام الدين، وهذا عنصر مهم لحكم دولة الغد، كما انهم عرفوا الواقع النفسي للقبائل العربية ومن القبائل يمكن ان تخضع لهم ومن منها يصعب ترويضها، فكانت لديهم دراسة دقيقة لما يقتضيه الغد، وربما لا يجد الباحث بسهولة الشاهد على ذلك ولكن هذا ما يمكن الوصول اليه بالتحليل والنظر الى بعض الوقائع فمثلا بنو يربوع قتلوا غيلة مع انهم اثبتوا اسلامهم وقتل زعيمهم مالك بن نويرة، وتم تجنيد قبيلة اسلم لاحتلال المدينة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)، وتمكنت قریش من تهديد الانصار بالعرب (فقام عمر بن الخطاب فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، إنه لا ترضى العرب أن تؤمركم وبنبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع إلى تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وألو الأمر منهم ، ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة والسلطان البين ، فيما ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف بإثم أو متورط في الهلكة محب للفتنة)^٥

فلم يك عائق امام قریش الا الانصار وبنو هاشم، فاما الانصار فتمكنوا من شق صفهم قبل يوم السقيفة ونحن وان لم يكن بين ايدينا دليل ملموس على ذلك ولكن ان يكون بشير بن سعد

^٤ سورة قریش

^٥ الاحتجاج: ١/٩٢

مسارعاً لبيعة ابي بكر وكان اول من ضرب بيده على يد ابي بكر ثم تسارعت الاوس لئلا يسبقها الخزرج وتدافعت الخزرج على بيعة ابي بكر كل ذلك كان وليد اللحظة فان هذا مما لا يقبله العقل السليم، ويؤكد هذا التحليل ما رواه البخاري في حادثة السقيفة حيث قال (...وانه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا رجلاً منهم صالحان فذكرا ما تمالي عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا امركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم فقلت من هذا قالوا هذا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا يوعك فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأنتى على الله لما هو أهله ثم قال اما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون ان يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الامر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد ان أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت إداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك فكرهت ان أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قال في بديته مثلها أو أفضل حتى سكت فقال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولم يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم اكره مما قال غيرها كان والله ان اقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من اثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا ان تسول إلي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن...)^٦

وقد اعدت قريش لكل شيء عدته فعسكرياً اتفقوا مع قبيلة اسلم على احتلال المدينة(أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر)^٧

^٦ البخاري: ٢٦/٨

^٧ تاريخ الطبري: ٤٥٨/٢

وسياسياً كانوا قد اخترقوا الانصار وتمكنوا من تفتيت كلمتهم فجاءت النتيجة في السقيفة كما ذكرت في مصادر التاريخ. وهكذا تمكنت قريش من الانتصار على الانصار.

واما بني هاشم فلم تكن لهم كثرة عددية اذ لم يكن عدد بني هاشم في تلك سوى عدة ثلاث رجال وعدد من الصبية، ورجالهم امير المؤمنين (عليه السلام) والعباس وعقيل (رضوان الله عليهما) وفتيتهم الحسنين عليهما السلام وابناء العباس وابناء عقيل وابناء جعفر بن ابي طالب، والتحق بهم الزبير بن العوام وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي (رضوان الله عليهم) وخبرهم غير خفي لمن راجع مصادر التاريخ التي تناولت مرحلة بعيد وفاة النبي (صلى الله عليه واله).

كان التدبير القرشي مدروساً جداً فلو نظرنا الى بطون قريش القبلية لوجدنا انها زعاماتها المهمة هم بنو هاشم وبنو امية وبنو مخزوم وبنو زهرة وبنو عبد الدار وبقية بطون قريش كانت تبعاً لهؤلاء، وسوى بني هاشم كان ابناء بقية القبائل من اشد الناس حرباً على الاسلام، وهم الذي خاضوا بدرًا واحداً والبوا الاحزاب في غزوة الخندق، ولذا فان قبولهم بالنسبة للمسلمين لن يكون سهلاً خاصة قبائل الانصار التي تخشى ان تمكن القرشيون ان يخرجوا لهم الاضغان ويسعون للانتقام منهم^١، كما ان حفظ وحدة الموقف القرشي في هذه المرحلة العسرة من تاريخ الدولة الكبيرة التي تمتلك من الطاقات الفتية ما يمكنها من التوسع والتمدد يقتضي ان يتفاهم زعماء الحركة القرشية فيما بينهم فوقع الخيار بينهم على الاتفاق على تقاسم السلطة بين بطون قريش على ان توزع المناصب والمهام بين القرشيين وهذا ما نجده واضحاً عند قراءة خارطة المناصب التي وزعت بين بطون قريش الرئيسية في ايام ابي بكر وعمر والنصف الاول من ايام عثمان، كان واضحاً ان القبائل العربية يجب ان يتم الهاؤها بشيء بعيد عن عالم السياسة، وان يكون الشيء الذي تشغل به صارفاً مهماً عن التفكير بالتعاطي الفكري والثقافي فاتخذ القرار السياسي في التوجه نحو الغزو والفتوحات والتمدد على حساب الامبراطوريتان العجوزان الفارسية والرومانية، وقد تحقق ذلك بيسر وسهولة وابتعد الخطر عن العاصمة بسبب الهاء ابناء القبائل العربية بدعوة الجهاد نشر الاسلام في ربوع الارض. تركز في سلطة قريش في هذه الفترة امران

^١ وهو ما تحقق لاحقاً في واقعتي كربلاء حيث انتقم الامويون من بني هاشم، وفي واقعة الحرة التي استباحت المدينة فيها ثلاثة ايام وسالت فيها من الدماء انهاراً وهتكت الحرمات وانتهكت الاعراض

الاول اقصاء بني هاشم عن سدة الحكم ومضايقتهم اقتصاديا وسياسيا واعلاميا وتطوير الجانب الثقافي والعلمي حتى بلغ ذروته في المنع من تدوين الحديث بل واحراق مجموعة من الصحف التي دونت فيها بعض احاديث النبي (صلى الله عليه واله) واستمرت منهجية المنع من تدوين الاحاديث النبوية الى ايام عمر بن عبد العزيز. ولنصطلح على هذه الفترة اسم اسلام قريش.

بنو امية وقيادة الامة

في النصف الثاني من خلافة عثمان بن عفان ظهر توجه جديد في ادارة البلاد الاسلامية خاصة وان مزاحموا بنو امية لم يعد لهم قدرة حقيقة على الساحة السياسية، فسراة بنو مخزوم كعكرمة بن ابي جهل وخالد بن الوليد قد اخطرتهم الاجل، وزعيم بني زهرة القوي عبد الرحمن بن عوف توفي في خلافة عثمان، ولم يبق سوى سعد بن ابي وقاص، وبنو عبد الدار ابيدوا في احد، وبنو سهم وزعيمهم عمرو بن العاص في ركاب معاوية، فلم يبق مزاحم شديد المراس في الساحة السياسية لبني امية تخشى صولته، لذا قرر بنو امية الانفراد بالسلطة بصورة كاملة، الامر الذي اثار حفيظة القرشيين فلم يقف اي منهم مدافعاً عن عثمان بعد ثورة الامة ضد ولاته، بل كان الزبير وطلحة وعائشة يحرضون الناس على قتله، وانتهى الامر بمقتل عثمان نتيجة امرين الاول سوء اداء عماله والثاني التنافس على السلطة بين معاوية ومروان بن الحكم.

الامر الذي لم يتم لقريش حسابه بصورة جيدة هو روح الاسلام والامة، ان روح الاسلام محفوظة في القران الكريم، وهو مشعل الهداية الدائم الذي لا يمكن ان يخبو مهما استمر به الزمن، كما ان الامة فيها من يسعى لان يكون متبعاً لاوامر الله تعالى وتعاليم دينه، واذا عرفت الامة الحق فان شريحة غير قليلة منها سوف تتبعه، وهذا ما حصل في سنة ٣٥ هجرية عندما بايعت الامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).

ولكن الامر لم يدم طويلا حتى اغتيل امير المؤمنين (عليه السلام) وآل الامر الى معاوية ومن بعده بني امية ودام حكمهم حتى ظهور العباسيين، كانت السمة المميزة لهذه الفترة الاعلان عن نصب العداء لامير المؤمنين (عليه السلام) وسبه على المنابر ومنع العطاء عن من لا يسب علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومنع الرواية عنه، ومحو اسم محبيه من ديوان العطاء، ومنع

قبول شهادتهم في مجالس القضاء، وبعبارة اخرى شن حرب كاملة على كل ما يرتبط بعلي (صلوات الله عليه) على مختلف الاصعدة الروحية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية والفكرية والفقهيّة. واستمر هذا الحال الى قيام الدولة العباسية. وبملاحظة هذه الفترة من تاريخ الامة نجد ان اغلب من اشتغل في الفقه وعلوم الشريعة وعلوم الحديث هم الموالي، واما العرب فمن كان منهم في ركاب السلطة فهم مشغولون في الفتوحات والغزوات الغنائم، ومن كان في غير ركاب السلطة وخاصة من كان هواهم مع اهل البيت (عليهم السلام) فعملوا في الحياة المدنية والعلمية على الرغم من تضيق السلطات الاموية عليهم. لنسم الطابع العام لهذه الفترة باسلام بني امية.

بنو العباس وقيادة الامة

كان المرحلة اللاحقة من مراحل تطور المجتمع المسلم، على الصعيد السياسي والفكري، ظهور الانشطة السياسية المعادية للسلطة الاموية وقد كان اهم حركة وبرزها في تلك الفترة هي نهضة الامام الحسين (عليه السلام) ضد يزيد، ثم تبعتها العديد من الثورات بمختلف التوجهات السياسية والفكرية، حتى تمخضت عن تمكن العباسيين من كسب الفرس وتشكيل قوة عسكرية والزحف بها من شرق العالم الاسلامي لاسقاط الحكم الاموي، واقامة الدولة العباسية.

كانت الدولة العباسية تواجه عدة تحديات فمن جهة تواجه مسالة المشروعية خاصة وان اتباع اهل البيت (عليهم السلام) يؤمنون بمشروعية اهل البيت ومن جهة ثانية تواجه مشكلة وجود مذاهب فقهية لا تتسجم كثيرا معها فمثلا كان ابو حنيفة لا يرى شرعية الحكم العباسي ودفع حياته ثمنا لذلك الموقف، مضافا الى حركة الخوارج، والحركات السياسية التي تظهر بين الفينة والفينة، وداخليا كان العباسيون يعانون مشكلة لم تعان منها الدولة الاموية، وهي مشكلة الصراع على السلطة بين ابناء العائلة كما حصل بين موسى الهادي وهرون الرشيد، والذي ذهب ضحيته الهادي ثم الصراع بين الامين والمأمون، فكان لابد للعباسيين من البحث عن ما تتشغل به الامة، فنشط في عهدهم حركة الترجمة وطرح الافكار الغربية عن المجتمع الاسلامي، واصبحت اراء الامم الاخرى تطرح بين مدارس المسلمين، وتاثر بعض المسلمين باطروحات تلك المدارس، وبعد تلك المرحلة سعوا الى اثاره مشاكل فكرية داخلية واصحبت قضية تفنيش العقائد والتي ابرزها فتنة خلق القران التي راح ضحيتها الكثير، ومسالة الجبر والاختيار وغير ذلك من القضايا الفكرية التي عصفت بالامة على مختلف فترات تاريخها. وفي هذه الفترة ظهرت حالة من الدعم

الرسمي لبعض المذاهب الفقهية على حساب المذاهب الاخرى فدعم المنصور نشر المذهب المالكي الذي اخذ مداه في بلاد المغرب العربي، ودعم الرشيد المذهب الشافعي الذي شرع في مصر ثم انتشر في العراق وبلاد فارس بعد ان كان الساحة الاوسع في هاتين المنطقتين لمذهب ابي حنيفة. كما دعم المتوكل المذهب الحنبلي.

ولنسم هذه الفترة فترة الاسلام العباسي والذي يمكن ان نلاحظ فيه، الاستمرار على النهج القرشي والاموي في اقضاء العلويين وتشريدهم والكيد لهم وشحن السيوف ضدهم بل لم يكتفوا بذلك حتى هدموا قبورهم، نشر الافكار المستوردة من الحضارات والديانات الاخرى وزجها في اذهان عامة المسلمين، ونقل ساحة الصراع الفكري بين الفقهاء واتباع المذاهب الفقهية من جهة والمتأثرين بالافكار الطارئة على الفكر الاسلامي من جهة اخرى، اثاره الفتن الفكرية بين اخوة واخرى بدعم مباشر من البلاط، تقريب مذهب فقهي او فكري معين واقضاء اخر، فمثلا قرب المهدي الزيدية، وقرب المامون والمعتصم المعتزلة وقرب المتوكل الحنابلة، وقد كان يجر كل واحد من تلك التقريبات مسالة صراع جديدة من قبل السلطة ضد الاخرين حتى اذا تغير الحاكم او انتهت حاجته الواقعية منهم قلب ظهر المجن.

خلاصة المبحث الاول

ان الاختلاف بين المسلمين في مختلف الاصعدة العقائدية والفقهية يعود في الاساس الى التحول من اسلام النبي (صلى الله عليه واله) الى اسلام قريش واسلام بني امية واسلام بني العباس، اسلام الدولة النبوية كان يهدف الى بناء الانسان والمجتمع ولم يكن هدفه الاول بناء السلطة وتشبيدها، نعم السلطة جزء مهم في المساعدة في بناء المجتمع لا ان الهدف هو بناء السلطة على حساب بناء الفرد والمجتمع.

ما بعد النبي (صلى الله عليه واله) كان الهدف هو تشييد السلطة وحمايتها وتوسعتها، وقد ترك ذلك اثره واضحا على حياة المسلمين الفكرية، حيث ادت القرارات والممارسات العملية التي قامت بها السلطات على مر العصور الى وصول تراث مليء بالاخطاء والخطايا، على الصعيدين النظري والتطبيقي، والذي جر على الامة الويلات الى يومنا هذا.

ان بناء الامة الاسلامية واعادة مجدها يحتاج من كافة المفكرين المسلمين العمل على العودة الى اسلام رسول الله (صلى الله عليه واله) اسلام القران والسنة النبوية القطعية الثابتة بلا ادنى شك ولا ادنى ريب، فبها يعود للامة مجدها وسؤدها فكما انطلقت الامة في عهد النبي (صلى الله عليه واله) ببركة الاسلام الواحد الحق الذي نزل به الروح الامين على سيد المرسلين (صلى الله عليه واله) فكذا على الامة ان تعمل على استعادة ذلك الاسلام الذي اضاعته منذ ١٥ عشر قرنا.

ان ذلك الاسلام محفوظ في القران الكريم والسنة القطعية الثابتة، وهو الوحيد الذي يستطيع ان يهب لهذه الاوصال المقطعة الحياة من جديد.

المبحث الثاني

قراءة في تفسير ابن حزم

لمناشئ الاختلاف الفقهي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)

عد ابن حزم عشرة مناقشئ رئيسية للاختلاف الفقهي في صدر الاسلام، نذكرها تباعا مع نقد موجز لكل واحد من تلك النقاط التي ذكرها.

المنشأ الاول: عدم اطلاع الصحابي على كلام النبي (صلى الله عليه واله)

(أحدها : ألا يبلغ العالم الخبر فيفتي فيه بنص آخر بلغه، كما قال عمر في خبر الاستئذان : خفي علي هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاني الصفق بالأسواق)

ما ذكره ابن حزم في هذه النقطة كسبب من اسباب الاختلاف من الناحية الواقعية والموضوعية صحيح جداً، لكن النقد الذي يفترض ان يتوجه الى هذه النقطة من اسباب الاختلاف، ان ابن حزم اخفى الاشارة الى نقطة مركزية، وهي ان الصحابي لا يصح منه ان يفتي على اساس المرتكز في ذهنه اذ ان الاحكام صدرت عنه صلى الله عليه واله في فترات مختلفة، فلا يصح للصحابي ان يفتي بناءً على جواز كل ما لم يطع هو على النهي الوارد في موضوعه بل عليه

ان يكون في حال استفهام دائم عما صدر عن النبي (صلى الله عليه واله) خاصة وان تلك الفتاوى التي كانوا يصدرونها كانت بعد وفاته (صلى الله عليه واله) وتبليغه للاحكام، فتصدي من يعلم من نفسه انه لم يطلع على الاحكام للفتوى خلل كبير، وقد علم بعض المتصدين من انفسهم انهم لم يطلعوا على الكثير من احكام الشريعة، بل لم يكن الاهتمام بالاحكام من اولوياتهم، وما ذكره ابن حزم عن عمر بن الخطاب يؤيد ما نشير اليه.

ويبدو ان ظاهرة الجهل الفقهي وتصدي غير المؤهلين كانت واضحة في الصدر الاول ولذلك تصدى لها امير المؤمنين (عليه السلام) بقوة:

(ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا وإلهم واحد ونبیهم واحد وكتابهم واحد . أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه . أم نهاهم عنه فعصوه . أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه . أم كانوا شركاء له . فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^٩ فيه تبيان كل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾^{١٠} . وإن القرآن ظاهره أنيق . وباطنه عميق . لا تفنى عجائبه ولا تتقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)^{١١}

وعنه عليه السلام ايضا في اسباب الاختلاف في الفتيا والتفسير:

(علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم ابن عمر اليماني ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : قلت . لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم

٩

١٠

^{١١} نهج البلاغة: خ ١٨

تخالفونهم فيها ، وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ، ويفسرون القرآن بأرائهم ؟ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب . إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابهها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال : أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان ، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم " ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة . ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه ، ولم يتعمد كذبا فهو في يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه . ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه . وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، مبغض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ [وخاص وعام] ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال الله عز وجل في كتابه : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^{١٢} فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارى فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوها. وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازلته أخلاني وأقام عني نسائه . فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني ، وكنت إذا سألته أجنبي وإذا سكت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها ، وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل)^{١٣}

وربما يمكن الاعتذار لابن حزم في هذه الجهة انه كان عاجزاً عن طرح هذه المسألة لانها ستعرضه الى الكثير من الانتقادات وربما ستعرضه لخطر كبير يتهدد حياته الشخصية ومستقبله العلمي، فيكون قد عمل بالتقية من جهة اخفاء نقده لمنشأ هذه الظاهرة الذي يعود الى تصدي الشخص الذي لم يبلغ الى التأهل العلمي المطلوب للتصدي لشؤون الافتاء.

ومن هنا يمكن ان يقال ان موقف ابن حزم في هذا المقطع هو احد امرين اما انه عمل بالتقية فلم يتعرض بالنقد لمنهجية الافتاء بلا اطلاع كاف والذي اصبح احد اسباب اختلاف الامة في احكام دينها بمجرد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)، او انه كان يرى ان الصحبة تجعل الصحابي فوق مستوى النقد وان كان ما قام به سبباً من اسباب الاختلاف والتناحر بين الامة.

^{١٣} الكافي: ١/ كتاب فضل العلم باب اختلاف الحديث ح ١

وروى البخاري في صحيحه العديد من النصوص التي تؤكد شيوع ظاهرة الكذب على رسول الله (صلى الله عليه واله) في حياته وهو ما يشكل جزءا مهما من اسباب الاختلاف الفقهي في الصدر الاول للاسلام ، اذ لا يعلم من نقل اليه الحديث ان محدثه كاذب ويفتري على رسول الله (صلى الله عليه واله) ما لم يصدر عنه، ومن تلك الروايات:

(حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^{١٤}

(حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا شعبة قال أخبرني منصور قال: سمعت ربي بن حراش يقول: سمعت عليا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكذبوا على فإنه من كذب على فليلج النار)^{١٥} (حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن جامع بن شداد عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: انى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال اما انى لم أفارقه ولكن سمعته يقول من كذب على فليتبوأ مقعده من النار)^{١٦}

(حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز قال: قال أنس: انه ليمنعني ان أحدثكم حديثا كثيرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تعد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار)^{١٧}

(حدثنا المكي بن إبراهيم قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)^{١٨}

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تسموا باسمي ولا تكنتوا بكنتي ومن رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل في صورتى ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)^{١٩}

^{١٤} صحيح البخاري: كتاب العلم ص ٣٣

^{١٥} البخاري: ج ١ ص ٣٥ باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم

^{١٦} البخاري: ج ١ ص ٣٥ باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم

^{١٧} البخاري: ج ١ ص ٣٥ باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم

^{١٨} البخاري: ج ١ ص ٣٥ باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم

المنشأ الثاني: رفض الرواية لاحتمالية نسيان الراوي

وثانيها : أن يقع في نفسه أن راوي الخبر لم يحفظ ، وأنه وهم كفعل عمر في خبر فاطمة بنت قيس ، وكفعل عائشة في خبر الميت يعذب ببكاء أهله ، وهذا ظن لا معنى له ، إن أطلق بطلت الاخبار كلها وإن خص به مكان دون مكان كان تحكما بالباطل .

في هذا المقطع ينتقد ابن حزم سيرة من تقدم في الصدر الاول من المجتمع الاسلامي في التعاطي مع الاخبار، وبناء فتاواهم على اجتهاد في مقابل النص بنحو غير خاضع لميزان علمي صحيح، وفي هذا الموضوع يسجل ان حزم نقداً علمياً لهذا السلوك وهو ان ترك ترتيب الاثر على احتمالية عدم حفظ الراوي للخبر ان اطلق في جميع الاخبار يلزم منه الاقتصار على الاخبار التي تتواتر عن النبي (صلى الله عليه واله) مع ان غالبية الاخبار التي بين ايدي المسلمين هي اخبار احاد، وسينتج عن هذا عدم امكان الاستناد الى أي خبر غير متواتر ويلزم من ذلك الغاء الكثير من الاحكام لعدم تمامية الاحتجاج بادلته، هذا من جانب ومن جانب اخر فان العمل بهذا الظن على اطلاقه مخالف للسيرة العقلائية والدلالة الضمنية للاخبار والايات الدالة على جواز الاستناد الى اخبار الثقات، مع عدم وجود منهج خاص في الاستناد الى الادلة في استنباط الاحكام غير المنهج العام في قبول الخبر وخرج عنه اخبار غير الثقة بحسب الادلة التي بحثت هذه القضية في مجالها، فالاستناد الى الظن بنسيان الراوي في هجر روايته مع عدم البحث في ثبوتها منهج غير مستقيم في التعاطي مع النصوص، مع جريان سيرتهم حتى في الصدر الاول بل وفي ايام النبي (صلى الله عليه واله) على العمل بخبر الثقة، ومن هنا نجد ان عمر وعائشة وغيرهما عملوا باخبار الآحاد، فالعمل ببعض الروايات وترك البعض الآخر من دون مستند واضح تحكم في التعاطي مع الادلة ومنهج غير قويم في الاستدلال.

وبالنتيجة فإن مرجع هذه الطريقة في التعاطي مع الاخبار والذي نتج عنه اختلاف الرؤية الفقهية للحدث الواحد مرجعه عدم الرجوع الى قواعد علمية منضبطة في التعاطي مع النصوص المروية، وبالتالي فالقضية تعود الى الامر الكلي الاول وهي تصدي غير المؤهل علمياً لبيان احكام الشريعة.

المنشأ الثالث: الافتاء على ضوء احتمالية نسخ الحكم

(وثالثها : أن يقع في نفسه أنه منسوخ كما ظن ابن عمر في آية نكاح الكتابيات)

في هذه المنشأ من مناشئ الخلاف الفقهي في صدر الاسلام تتكرر نفس العلة التي ذكرت في موردين المتقدمين ومرجعها الى عدم اهلية المتصدي للافتاء، لعدم استتاده الى ضوابط علمية دقيقة في التعاطي مع المسائل، وليست المسألة في هذا الصدد تتعلق بفتوى ابن عمر او غيرها من المسائل الجزئية، بل تتعلق القضية بالمنهجية العامة فإن اصدار الفتاوى بناءً على ظنون لم تثبت، واخذ الامة بهذه الفتاوى بناءً على صدورهما من صحابي للنبي (صلى الله عليه واله) مع مخالفة اخرين له في فتواه، ولد اختلافاً في الامة منشأه الجهل بالحكم وعدم الرجوع الى ضوابط علمية دقيقة في استنباط الفتوى.

وابن حزم في موقفه لهذه الظاهر قال: "ولا يحل أن يقال فيما صح وورد الامر به هذا منسوخ إلا بيقين ، ولا يحل أن يترك أمر قد تيقن وروده خوفاً أن يكون منسوخاً ، ولا أن يقول قائل : لعله منسوخ ، وكيف ونحن على يقين مقطوع به من أن المخالف لمعهود الأصل هو الناسخ بلا شك ولا مرية عند الله تعالى"^{٢٠}

وعليه فابن حزم يحرم العمل بقول من لم يستند الى دليل حجة، ويمنع رفع اليد عن الدليل ما لم يثبت نفي دلالاته بدليل معتمد، ويخطئ الصحابي اذا خالف عمله ذلك: "وقد لا ينسأه بل يذكره ، ولكن يتأول فيه تأويلاً فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنى ما ، وكل هذا لا يجوز اتباعه إلا بنص أو إجماع ، لأنه رأي من رأى ذلك ، ولا يحل تقليد أحد ولا قبول رأيه"^{٢١}

ويقول ايضاً:

فابن حزم يرى عدم جواز الرجوع الى قول الصحابي او غيره مالم يكن مستنداً الى دليل ثابت ومعتبر، وقد عبر عن الدليل الثابت بالنص او الاجماع، اما النص فلوضوح كونه مع الثبوت صادراً عن النبي (صلى الله عليه واله) والاجماع مع ثبوته المفروض انه يكشف عن فهم المسلمين لقول النبي (صلى الله عليه واله)، والا فلا عبرة فيه.

^{٢٠} الاحكام: ١٥٩/٢

^{٢١} الاحكام لابن حزم الاندلسي: ٢/

فالمسألة في هذا المنشأ أيضاً تعود الى عدم الاطلاع الوافي على الاحكام الشرعية، وتحكيم الظنون والاحتمالات في مجال الاستدلال الفقهي.

المنشأ الرابع: العمل بالاحتياط عند تعارض النصوص

(ورابعها : أن يغلب نصاً على نص بأنه أحوط وهذا لا معنى له ، إذ لا يوجب قرآن ولا سنة)

المنشأ الرابع لاختلاف الصدر الاول من المسلمين يعود الى الترجيح بين النصوص المتعارضة، ويخصص ابن حزم في هذه النقطة الخلل في الترجيح على اساس كون احد النصين اقرب الى الاحتياط من النص الاخر، وينتقد ابن حزم الترجيح بالاحوطية مع اقراره بتحققها في النصين المتعارضين، ويعود سبب انتقاده ان الترجيح بالاحوطية لا دليل عليه من القرآن ولا من السنة، وبعبارة اخرى ان كون احد الدليلين على الحكم اقرب لاصابة الواقع من الدليل الاخر غير مرجح في مجال الاستنباط لعدم دليل من القرآن او السنة النبوية على التقديم على اساس اقربية الاصابة للواقع.

وبعبارة اخرى ان ابن حزم ينتقد في مجال تعارض الادلة المنهجية التي تستند الى الذوق الشخصي في الترجيح وان كان له مبرر عقلائي، لان العقلاء في حال اشتباه الحال يميلون الى الاحتياط، الا انه يرى ان الالزام به والافتاء على ضوئه خال من مبرر شرعي للترجيح، اذ في حال تعارض دليلين كل منها واجد للشروط المعتبرة في استفادة الحكم الشرعي، لا بد ان تكون هناك منهجية مقررة من قبل الشارع في التعاطي مع مثل هذه النصوص، فالرجوع مباشرة الى العمل بالاحتياط مع عدم الدليل على كونه من المرجحات الشرعية، منهجية غير صحيحة في التعامل مع النصوص المتعارضة وان كانت ذات مناشئ عقلانية.

المنشأ الخامس: ترجيح احد النصين لعمل المشهور بها

(وخامسها : أن يغلب نصاً على نص لكثرة العاملين به أو لجلالتهم ، وهذا لا معنى له لما قد أفدناه قبلاً في ترجيح الاخبار)

يقرر ابن حزم ان احد مناشئ الخلاف الفقهي في مجتمعات صدر الاسلام هو العمل بالنصوص المتعارضة، كما ان بعض النصوص يعمل بها اكثر العاملين بها، او يعمل بها اجلة القوم،

فيا تي من يعاصرهم او من ياتي بعدهم ليروح العمل باحد الخبرين استناداً الى كثرة العاملين به مقارنة بالخبر الاخر او لجلالة العاملين به قياساً الى النص الاخر.

وبالتالي فمرجع الخلاف اما لشهرة العمل بالنص او لجلالة قدر العاملين به بعيداً عن مضمون النص، ويرى ان حزم ان الترجيح بالشهرة في مقام العمل او بجلالة العاملين به لا دليل عليها، فلا تصلح مرجحاً بين النصوص في حال تعارضها.

قال ابن حزم:

(هذه الآيات محكمات لم تدع لاحد علقه يشغب بها ، قد بين الله فيها صفة فعل أهل زماننا فإنهم يقولون : نحن المؤمنون بالله وبالرسول ، ونحن طائعون لهما ، ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الاقرار ، فيخالفون ما وردهم عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أولئك بنص حكم الله تعالى عليهم ليسوا مؤمنين ، وإذا دعوا إلى آيات من قرآن أو حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يخالف كل ذلك تقليدهم الملعون أعرضوا عن ذلك ، فمن قائل : ليس عليه العمل ، ومن قائل : هذا خصوص ، ومن قائل : هذا متروك ، ومن قائل : أبي هذا فلان ، ومن قائل : القياس غير هذا ، حتى إذا وجدوا في الحديث أو القرآن شيئاً يوافق ما قلدوا فيه طاروا به كل مطار ، وأتوا إليه مذعنين كما وصف الله حرفاً حرفاً ، فيا ويلهم ما بالهم ، أفي قلوبهم مرض وريب ؟ أم يخافون جور الله تعالى وجور رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا إنهم هم الظالمون كما ثم بين تعالى أن قول المؤمنين سماهم الله رب العالمين فبعدا للقوم الظالمين إذا دعوا إلى كتاب الله تعالى ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وهذا جواب أصحاب الحديث الذين شهد لهم الله تعالى - وقوله الحق - أنهم مؤمنون ، وأنهم مفلحون ، وأنهم هم الفائزون ، اللهم فثبتنا فيهم ، ولا تخالف بنا عنهم ، واكتبنا في عدادهم ، واحشرنا في سوادهم ، آمين رب العالمين)^{٢٢}

وعند النظر فيما قرره ابن حزم في هذا المقطع نجد انه يبطل اجتهاد غيره من اصحاب المذاهب الفقهية، كما يرى ان عمل غير الفقهاء في اتباع عمل الاكثر او الاجل في نفوسهم ليس عليه دليل من الشرع، لان الشرع انما نص على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله،

وكلامه الى هنا صحيح ولا غبار عليه، ونقف هنا لبيان سبب رد ابن حزم على الترجيح بين الاخبار المتعارضة بهذه الطريقة.

مما لا شك فيه وجود اخبار متعارضة الدلالة مروية عن النبي (صلى الله عليه واله) وكما قرر في علم الاصول ان الادلة المتعارضة ان امكن الجمع بينها باحد اساليب الجمع لزم ذلك كما في اية وانكحو ما طاب لكم من النساء، واية حرمت عليكم امهاتكم، فان اطلاق الاولى يشمل جميع النساء بلا استثناء، والنص الاخير يخرج من ذلك الاطلاق الام والاخت والبننت وبننت الزوجة وامها واختها ما دامت زوجة له والاخت والام والبننت من الرضاعة، فالجمع بين النصوص يدل على خروج بعض النساء من اطلاق وانكحو ما طاب لكم من النساء، وكذلك وجود نصوص متواترة عن النبي (صلى الله عليه واله) من وجود كذابة عليه في حياته، يدل على وجود نصوص مكذوبة على النبي (صلى الله عليه واله) وعليه يتعين على الفقيه والمحدث تمحيص الحديث لاخراج المكذوب من الصحيح، ومن الطبيعي ان غير المختص لا يسعه ان يقوم بهذا الفعل، فهذا شان المتخصصين، وقبول قول المختص عند غيره نابع من الاطمئنان الحاصل لدى غير المختص من دقة عمل المختص وصحته وهذا ما تقتضيه سيرة العقلاء، وما دلت عليه النصوص بالرجوع الى اهل الذكر واية النفر، ومنه يتضح ان ابن حزم في تخطئة فعل من عاصره من علماء الامصار بترجيحهم احد الخبرين على الاخر بعمل الاكثر به او عمل الاجلاء، استند الى مبناه في التعاطي مع الاخبار المتعارضة بعدم الدليل على ترجيح احد الخبرين على الاخر من خلال هذا الطريق، أي ان الاطمئنان الحاصل بعمل الاغلب او عمل الاجلاء لا دليل على اعتباره شرعاً وانما هو اطمئنان شخصي مرده الى قناعة شخصية عارية عن الدليل، وعلى الرغم من قيام سيرة العقلاء على تحقق الاطمئنان بهذا النحو الا ان ابن حزم يرى ان هذه السيرة لا دليل عليها من قبل الشرع، فلا تصلح ان يعول عليها في ترجيح احد الخبرين على الاخر. وخلاصة القول ان عمل الاغلب او الاجلة من الفقهاء ليس بحجة في ترجيح احد الخبرين، وهو احد اسباب ظهور الخلاف الفقهي في صدر الاسلام واستمر بعد ذلك بين المسلمين نتيجة اعتمادهم على عمل المتقدمين في ترجيح الاخبار، مع عدم مشروعية هذا المنهج في الرجح على رأي ابن حزم.

وعند التدقيق في تحقق الخلاف في الصدر الاول في هذه القضية ومن ثم استمرارها في الاجيال اللاحقة من الامة سواء على صعيد المختصين في المجال الشرعي او غيرهم في اتباعهم لهم، نجد ان مرجعه الاصل الى امرين الاول منهما عدم اهتمام اغلب المسلمين في الصدر الاول بتعلم الاحكام الشرعية، واختصاص عدد محدود منهم بذلك، لذلك تجد ان البعض لم يروي الا نزر يسير من الاخبار، وبعض اخذ لديه معلومات ناقصة، وبعض سد النقص باجتهاد منه، والمحصلة النهائية ثم تصدى عدد من هؤلاء لبيان احكام الشرع، وانتهى الامر بتشويه لاحكام الشريعة تلقاها الناس باطمئنان كبير لتقتهم بمن نقلها مع عدم الالتفات الى مواطن الخلل من المتصدي احيانا ومن المتلقي في اغلب الاحيان، فيكون الاصل في الخلاف هو تصدي من ليس باهل الى شؤون بحاجة الى اشخاص عظيمي الاطلاع في هذا المجال.

المنشأ السادس: تقديم نص فاقد للحجية

(وسادسها: أن يغلب نسا لم يصح على نص صحيح ، وهو لا يعلم بفساد الذي غلب)

في هذه النقطة من اسباب الخلاف يقرر ابن حزم مسألتين:

- الاولى: ان هناك احاديث صحيحة عن النبي (صلى الله عليه واله) أي انها طبق منهج الاستدلال الفقهي واجدة لشروط الحجية وجواز الاستناد اليها، وهناك احاديث غير صحيحة أي فاقدة لشروط الاتكال عليها والرجوع اليها.
- الثانية: ان بعض المتصدين في مجال التعارض بين الادلة قدم الدليل الفاقد لشروط الحجية على الدليل الحجة، مع عدم علمه بفساد الدليل المقدم.

وهنا من الضروري ان نقف عند هذه المسألة ونلقي هذا السؤال، ان هناك نصوص غير صحيحة مروية عن النبي (صلى الله عليه واله) ادت الى ارباك عمل المتصدين في مجال بيان الاحكام في الصدر الاول للاسلام، وهنا لا يتحدث ابن حزم عن خبر لم يصل بل عن خبر واصل بين يدي المتصدي لبيان الاحكام غاب عنه فساد طريقه قدمه لجهله بفساد الرواية وكذبها، والكلام في صدر الاسلام، أي مرحلة الاخذ عن الصحابة او عن من اخذ عنهم.

وهذا يستدعي عودة التحقيق في الروايات وتفتيحها الى الصدر الاول فالمسألة هنا ليست مسألة الاطلاع على بعض النصوص وعدم الاطلاع على البعض الاخر لتكون المسألة التصدي لبيان

الاحكام مع عدم الاطلاع التام على العام والخاص والناسخ والمنسوخ لتكون المسألة مناقشة في الفتوى، بل الكلام هنا في وجود روايات غير صحيحة، أي يفترض عدم صدورها عن النبي (صلى الله عليه واله) وهذا يقتضي التدقيق في رواة الاخبار سواء من عاصر منهم النبي (صلى الله عليه واله) لما ثبت في المتواتر من الروايات انه في عهد النبي (صلى الله عليه واله) كان هناك من يضع الحديث كذباً وقد حذر منهم النبي (صلى الله عليه واله) وحذرهم بان مصيرهم الى النار، و اشار امير المؤمنين (عليه السلام) فيما روي عنه في نهج البلاغة ان هناك من روي كذبا على رسول الله (صلى الله عليه واله)^{٢٣}.

فاذن علاج هذا التفاوت والخلاف يكمن في اعادة دراسة حال الرواة سواء منهم من عاصر النبي (صلى الله عليه واله) او من جاء بعدهم لتتقيا الموروث الروائي مما ادخل فيه و اضيف عليه، وقد بذل المتقدمون جهوداً كبيرة في هذا المجال الا ان بعض متبنياتهم في مجال قبول الرواية اسهمت في تضمين عدد كبير من الاحاديث غير الصادرة عن النبي (صلى الله عليه واله) الى الاحاديث التي صدرت عنه او العكس، فمن الضروري اذا الرجوع الى اصل تلك المباني وتلقيتها من الشروط التي اسهمت بادخال الروايات غير الصحيحة في الروايات الصحيحة، ومنعت دخول الروايات الصحيحة ضمن المجموع الصحيح من الروايات، وقد اجريت العديد من المحاولات لنقد بعض الحالات الا ان هناك معوقات كبيرة امام الحركة الاصلاحية في هذا الباب، خصوصا وان بعضها ان تم تبنيه يؤدي الى هزة عنيفة في جملة من الاتجاهات الفكرية التي بنيت عليها العديد من الاطروحات المهيمنة اليوم في حياة المسلمين. هذا فيما يتعلق بالنسبة للامر الاول.

اما الامر الثاني وهو ترجيح المتصدي لبيان الاحكام مع جهلة بعدم صدور الرواية، فان هذا يقتضي يقتضي مراجعة وتدقيق في الشخصيات التي عملت بهذا النحو في الترجيح لتقييم صحة الفتوى التي صدرت في ذلك الوقت ودراسة السبب الذي لاجله رجح الصحابي او الطبقة الاولى من التابعين غلب النص المفترض صحته على النص المفترض عدم صحته، وهذا قد يفتح بابا جديدا في منهجية تصحيح الرواية او بيان حال الرجال وامكانية الاستناد الى ارائهم الفقهية، والموقف من قبول روايتهم او ارائهم.

^{٢٣} ذكرنا جملة منها عند مناقشة السبب الاول للخلاف

والعمل في هذين المحورين يحتاج الى عمل جبار وموضوعية ودقة في التعاطي مع مسألة في غاية الحساسية، مع ما تكتنفه من اخطار مختلفة.

والنتيجة ان السبب السادس يرجع ايضا الى الاصل الذي تمت الاشارة اليه من تصدي غير المؤهل الى شؤون الفتيا.

السبب السابع والثامن: عدم مراعاة العموم والخصوص في الادلة

(وسابعها : أن يخصص عموما بظنه، وثامنها : أن يأخذ بعموم لم يجب الاخذ به ، ويترك الذي يثبت تخصيصه)

وفي هذا المقطع من اسباب الاختلاف يقرر ابن حزم ان من اسباب الخلاف الفقهي في الصدر الاول من تاريخ المسلمين هو عدم رعاية العام والخاص في النصوص، فان بعض النصوص ترد عامة، ثم يرد ما يخصص ذلك العام، ومن يفتي تارة يخصص العام بلا حجة ولا برهان وانما رأي يرتأيه فيحكم ظنه على الدليل فيخصص ما هو عام استناداً الى ذوقه وفهمه الشخصي، او انه يعمل بدليل عام مع ثبوت تخصيصه بدليل اخر، فيطرح الدليل المقدم على الدليل الاول، ولعل من اوضح ما وقعت به الامة في هذا الباب الدعوة اليوم الى نشر الحرمة على اساس رضاع الكبير، فالنص القراني صريح بان الودادات يرضعن اولادهن حولين كاملين، وهذا يعني ان من تجاوز عمره الحولين لا تترتب في مورده اثبات الحرمة بين الرضيع وصاحبة اللبن، الا ان رواية شاذة عن عائشة استند اليها البعض في اثبات الحرمة مع هجر الغالبية العظمى من الفقهاء لهذه الرواية.

قال الشيخ الطوسي قدس سره في الخلاف:

(الرضاع إنما ينشر الحرمة إذا كان المولود صغيراً ، فأما إن كان كبيراً فلو ارتضع المدة الطويلة لم ينشر الحرمة . وبه قال عمر بن الخطاب ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وهو قول جميع الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعي ، ومالك وغيرهم .

وقالت عائشة : رضاع الكبير يحرم كما يحرم رضاع الصغير ، وبه قال أهل الظاهر .

دليلنا : إجماع الفرقة وأخبارهم. وأيضاً قوله تعالى : " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة " .

وفيه دليلان :

الأول : أنه جعل الحولين تمام الرضاعة ، ومعلوم أنه لم يرد الاسم واللغة ولا الجواز ، فإنه ينطلق على بعد الحولين ، ثبت أنه أراد الرضاع الشرعي الذي يتعلق به الحرمة والتحرير .

والثاني : حده بالحولين ، فلا يخلو إما أن يريد جواز الرضاعة ، أو الكفاية ، أو التحريم ، فبطل أن يريد الجواز ، لأنه جائز بلا خلاف ، وبطل أن يريد الكفاية لأنه قد يكتفي بدون الحولين . فلم يبق إلا أنه حده بهذه المدة لأن الحكم بها يتعلق لا غيره . وأيضاً : روى ابن عباس أنه عليه السلام قال : لا رضاع بعد الحولين. ومعلوم أنه لم يرد سلب الاسم بعد الحولين ، لأن الاسم ينطلق عليه بعدها ، ثبت أنه أراد سلب حكمه .^{٢٤}

والخلاصة ان سبب هذا الخلاف يعود الى عنصرين اساسيين الاول المباني الفقهية التي قد لا تكون ناهضة، لعدم استيفائها لمتطلبات الحجية الفقهية، والثاني تصدي من ليس اهلا للفقاهة للفتيا بين الناس، فالمبنى الفقهي غير التام مؤثر الى اعتماد الدليل الظني في الاستدلال مع عدم وجود دليل قطعي على حجية ذلك الدليل الظني فيكون العمل فيه من باب العمل بالظن المنهي عنه بنص القران الكريم.

السبب التاسع: تأويل الاخبار بلا دليل

(وتاسعها : أن يتأول في الخبر غير ظاهره بغير برهان لعله ظنها برهان .)

ويعود السبب التاسع الى انتقاء الفقاهة عن المتصدي الذي يتأول الخبر تبرعاً دون ان يكون لديه دليل على التأويل او استند الى ما ظنه حجة ودليل وهو ليس من الحجة والبرهان في شيء، ومرجع ذلك ايضاً الى عدم اهلية المتصدي، اذ لا يخفى على الفقيه حق الفقيه تشخيص الحجة عن غير الحجة، وان كان الفقيه قد يخطئ فان العصمة لاهلها لكن الفقيه سيكون قد افرغ جهده

بما هو اهل للنهوض بمثل هذه المسؤولية، وليس حال حال من أول قول رسول الله (صلى الله عليه واله) ويح عمار تقتله الفئة الباغية، بان قال لهم ان من قتل عمار هو من اخرجته للحرب.

السبب العاشر: للخلاف تقديم قول الصحابي على النص الصحيح

(وعاشرها : أن يترك نصا صحيحا لقول صاحب بلغه، فيظن أنه لم يترك ذلك النص إلا لعلم كان عنده)

السبب العاشر من اسباب الخلاف الفقهي بين المسلمين في الصدر الاول ان يترك العمل بالنص الصحيح استنادا الى قول الصحابي ظنا من التارك للنص ان الصحابي انما ترك ذلك النص لان لديه من العلم ما يتنافى مع النص، وحيث ان الصحابي قد عاصر رسول الله (صلى الله عليه واله) وسمع منه وتلقى الاحكام عنه فيكون ما اخذ عنه مقدماً على النص الذي انتقل بعده وسائط ويحتمل معها الخلل في النقل.

ومما لا شك فيه ان هذه الفقرة تشير الى مسألة مهمة، وهي ان بعض الصحابة كانوا يفتون على خلاف الروايات التي بين ايدي الناس منها مثلاً فتوى ابن عباس بان لا رضاع بعد الحولين وفتواه وفتوى جابر بن عبد الله الانصاري بان المتعة لم تنسخ وانهم تمتعوا على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) وعهد ابي بكر وصدر خلافة عمر ثم ارتأى عمر ان يحرمها، والخلاف بين الفقهاء في مسح القدمين في الوضوء او غسلهما حتى ذهب البعض الى لزوم المسح تبعاً للقران، وذهب اخرون الى الجمع بين المسح والوضوء المسح تبعاً لدلالة القران الكريم والمسح تبعاً للرواية، بينما تناول اخرون في الاية لاثبات المسح، وهذا يكشف لنا ان ما يسمى بالصحيح من النصوص لا يرقى الى درجة الثبوت الواقعي، فلا بد معه من العودة الى دراسة النصوص والنظر في فتاوى الاصحاب ومعرفة مدى تعمقهم في العلم والفتيا فليس كل صحابي قد حوى من العلم الشئ الكثير، وان هذا الخلاف بينهم كان منذ البداية، ولذا قال عمر لا يفتين احد وعلي في المسجد وقول رسول الله (صلى الله عليه واله) اضاكم علي، وهذا انما يشير الى واقع الخلاف بين الصحابة انفسهم، بل ويؤكد انهم كانوا يخطئون في الفتيا والقضاء، والا لما كان هناك مبرر لمنعهم عن الفتيا والقضاء بين الناس اذا كانوا يفتون بالفتاوى الصحيحة ويقضون بالقضاء الصحيح.

خلاصة المبحث الثاني

ان النقاط العشر التي ذكرها ابن حزم في سبب الاختلاف الفقهي في الصدر الاول للاسلام، يؤكد لنا المأساة الحقيقية التي عاشها المسلمون في تلك الفترة من تاريخ الامة، والتي ابتدأت قبل وفاة النبي (صلى الله عليه واله) اذ تصدى البعض للكذب على رسول الله (صلى الله عليه واله)، وفي ذهني كلمة للعلامة حسن بن فرحان المالكي في احدى محاضراته كان يقول ان حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث حديث مكذوب على رسول الله (صلى الله عليه واله) وانه كان يتهم ناقل الحديث الى ابي بكر بالكذب على النبي (صلى الله عليه واله)، وهو المسألة التي اثار الصراع بين عائشة وعثمان عندما جاءت تطالب بميراثها من رسول الله (صلى الله عليه واله) فردها، (روى شريك بن عبد الله في حديث رفعه ان عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أمهات المؤمنين ما كان يعطيهم عمر فسألناه ان يعطيهم ما فرض عمر فقال : ولا والله ذاك لكما عندي فقالتا له : تأتتا ميراثنا من رسول الله من حيطانه وكان عثمان متكئا فجلس وكان علي بن أبي طالب جالسا عنده فقال عثمان : ستعلم فاطمة اي ابن عم لها اليوم : ألسما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفقتما ومعكما أعرابيا يتطهر ببوله مالك بن الحويرث من الحديثين فشهدتم ان النبي قال : انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهدتكما على أنفسكما وان كنتما شهدتما بباطل فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقالتا له : يا نعتل والله لقد شبهك رسول الله (ص) بنعتل اليهودي . فقال لهما : ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط)^{٢٥}

وفي مقابل ذلك كانت كتب الصحاح تنقل ان ابا بكر وعمر قالوا سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه واله).

والخلاصة ان الاختلاف الفقهي يرجع في اصله الى بعد المسلمين عن تعلم احكام دينهم وعلى تقهم مبادئ وقيم الدين الحنيف، ويعود ذلك لعدة اسباب:

الاول: عدم الاهلية من قبل الكثيرين وهذه حالة طبيعية، فلا يوجد مجتمع جميع افراده مؤهلين الى ان يكونوا بالمستوى الاعلى، ولكن غير الطبيعي تصدي مثل هؤلاء للفتيا وبيان احكام الدين مع عدم اهليتهم.

الثاني: لم يكن التفقه في الدين من الاولويات في نظر الكثيرين، فهم ياخذون الدين عن رسول الله (صلى الله عليه واله) وما وراء ذلك فهو ليس مهما بالنسبة لهم، وهو حالة الاغلبية ممن عاصر النبي (صلى الله عليه واله) وهو ما يشهد له قول عمر انهم شهدهم الصفق في الاسواق، وقول ابي هريرة ان المهاجرين كانوا مشغولين في الاسواق والانصار كانوا مشغولين بمزارعهم، وايضا يدل عليه ما نقلناه عن امير المؤمنين (عليه السلام) من قلة الاهتمام بالتفقه في امور الدين.

الثالث: تعمد الكذب على رسول الله (صلى الله عليه واله) وهذا من اخطر الانواع واشدها، وقد استخدم الساسة الكذابين لتعزيز سلطتهم، كما فعل عبيد الله بن زياد عندما دفع شريح القاضي للافتاء بان الحسين (عليه السلام) خارجي يجب قتله.

الرابع: الخلط في مقام الاستدلال الناشئ عن الجهل بمبادئ الاستدلال الفقهي، او لقلة البضاعة من النصوص التي يمكن الاستناد اليها في مقام بيان الحكم.

الخاتمة

ان منشا الخلاف بين المسلمين يعود في الاساس الى سنة اجتماعية تكوينية عاشتها جميع الحضارات والشعوب التي سبقت ظهور الاسلام او جاءت بعده، والقران الكريم صريح في المجتمعات على اختلافها وتنوعها تشترك بعدة عناصر يكون لها الاثر المهم في حياة تلك المجتمعات ومن تلك العناصر مسالة الرغبة في التسلط وبناء القدرات السياسية والعسكرية على حساب الحق والعدالة والانصاف والقيم، ولم يكن مجتمع الجزيرة العربية مختلفا عن المجتمعات البشرية الاخرى الامر الذي ادى الى تغيير منهجية السلطة في الدولة الاسلامية من منهجية بناء الفرد والمجتمع وتشبيد السلطة بما يعود على المجتمع والفرد بالخير والصلاح الى منهجية بناء السلطة على حساب بناء الفرد والمجتمع والذي انتهى به الحال الى فقدان الامة الاسلامية

لاستقلالها السياسي والاقتصادي في القرن الثامن عشر الميلادي وتحويلها الى بلدان متصارعة في بداية القرن العشرين، ثم الى اقاليم متناحرة في بداية القرن الحادي والعشرين.

يمثل ما قدمه ابن حزم من قراءة للاختلاف الفقهي خطوة جيدة في هذه المساحة من

تعرض ابن حزم الاندلسي في كتابه الاحكام الى الاختلاف الفقهي بين المسلمين في الصدر الاول للاسلام، واعتبر ان الاسباب المركزية لظاهرة الاختلاف الفقهي تعود الى عشرة مناشئ، وما ذكره من مناشئ يتميز بالواقعية لكن بحثه فيها لم يتسم بالبحث الموضوعي المجرد، اذ يمكن ان يلاحظ عليه:

أ- هيمنة نظرية عدالة الصحابة على التقييم الموضوعي لنقده لتفسيره لظاهرة الاختلاف الفقهي.

ب- محاولة تصحيح اسس الخلاف الفقهي، وتصحيح الاجتهاد الفقهي للصحابي.

ت- مع عرضه لبعض مناشئ الاختلاف الفقهي كان لهيمنة تعديل الصحابة على تحليل الظاهرة دور في عدم ابراز الحل الامثل لمنع ظهور الاختلاف الفقهي.